الحركة المكانية الداخلية القسرية المؤقتة لسكان محافظة نينوى للفترة ٢٠٠٣ – ٢٠١٧م

المدرس المساعد بدر عبد الرحيم محمود
Bader Abdulraheem Mahmood /Assistant Lecturer

المديرية العامة لتربية محافظة نينوى / قسم تربية أم الربيعين

Email: bader.abdulraheem87@gmail.com
الموبايل : 7701894231 964+

الملخص

يهدف البحث إلى دراسة الحركة المكانية الداخلية القسرية المؤقتة لسكان محافظة نينوى طيلة الفترة ٢٠٠٣–٢٠١٧م ، تعد منطقة الدراسة ثاني أكبر محافظة في العراق من حيث حجم السكان بعد العاصمة بغداد بعددٍ بلغ ٣٣١٨٠٠٠ نسمة بنسبة ٩,٧% من إجمالي سكان البلاد بحسب تقديرات وزارة التخطيط لسنة ٢٠١٧م ، وقد أفرزت الظروف الأمنية والسياسية المضطربة بعد سنة ٢٠٠٣م تيارات من الحركات المكانية القسرية نتيجة الخوف من الإضطهاد والخطر بسبب الإنتماء الديني أو الإثني أو السياسي للسكان.

تشير هذه التحركات الدائرية وموجات النزوح المتعددة إلى التحديات التي تواجهها الجهات الفاعلة في مجال العمل الإنساني والتنمية لوضع الخطط اللازمة لتنظيم حركات النزوح في ظل النزاعات الحادة وحالات إنعدام الأمن التي تشهدها المنطقة ، وقد كشف البحث عن وجود تباين زماني ومكاني لهذه الحركة القسرية المؤقتة لسكان منطقة الدراسة خلال المدة أعلاه وتتباين من حيث تركيبها العمري النوعي والتعليمي والمهني وتنوع مناطق النزوح والوفود، وأتخذ من برامج نظم المعلومات الجغرافية (GIS) أداةً في إعداد وتحليل الخرائط بالإعتماد على قواعد البيانات Data base .

مفاتيح البحث : *(الحركة المكانية ، الحركة القسرية ، محافظة نينوى ، النازحين)*

Temporary forced internal movement of residents of Nineveh province for the period 2003 - 2017

Bader Abdulraheem Mahmood
Assistant Lecturer

General Directorate of Education of Nineveh / Um Al-Rabi'een Education Department

E-mail: bader.abdulraheem87@gmail.com

Abstract

The research aims at study the temporary forced internal spatial movement of the population of Nineveh Governorate throughout the period 2003-2017. The study area is the second largest governorate in Iraq in terms of population size after the capital, Baghdad, the number of 3318000 person by 9.7% of the total population of the country, For the year 2017. The unstable security and political conditions after 2003 resulted in currents of forced spatial movements as a result of fear of persecution and danger due to the religious, ethnic or political affiliation of the population.

These circular movements and multiple waves of displacement point to the challenges faced by actors in humanitarian action and development to develop plans to organize displacement movements in the context of acute conflict and insecurity in the region. The research revealed a temporal and spatial discrepancy of this temporary forced movement of the study population During the above period and vary in terms of age, education, vocational and diversity of areas of displacement and delegations, and taken from the GIS software tool in the preparation and analysis of maps based on databases.

Search keys: (Spatial movement, Forced movement, Nineveh governorate, IDPs)

المقدمة

إن مصطلح الحركة mobility هو من أكثر المفاهيم تعميماً في حقل الهجرة، فالحركة المكانية spatial mobility تشمل أنواع الحركة جميعاً بين الأقاليم سواء كانت دورية circulation أو هجرة migration، وينبغي تمييزها عن الحركة الإجتماعية social mobility ذلك الذي يستعمله علماء الإجتماع للتعبير عن التحولات الإقتصادية والإجتماعية(١).

يعني التهجير القسري إجبار الإنسان، فرداً أو أسرة، على مغادرة بيته في منطقة معينة تحت طائلة التهديد، أو بسبب الخوف المبرر من التعرض للأذى أو الموت بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو إنتمائه إلى فئة إجتماعية معينة أو آرائه السياسية، مما يضطره للإنتقال إلى منطقة أخرى داخل البلد أو يلجأ إلى بلدٍ أخر(٢) بصورةٍ مؤقتة أو دائمة.

تعد الحركة المكانية القسرية أحد أخطر تحركات سكان العراق في العصر الحديث، ولا يمكن مقارنتها بأي شكل من أشكال الهجرة التي حدثت لأسبابٍ قسرية من قبل، حيثُ إتسمت بطابع العنف المفرط والإضطهاد الشديد.

وأن تسارع وتيرة العنف بمناطق مختلفة من العراق بعد عام ٢٠٠٣م، وظهور تيارات من الحركات المكانية القسرية للسكان بين وافدة وأخرى مغادرة كان دافعاً لدراستها ليس لأنها ظاهرة سكانية خطيرة فحسب بل لأنها تترك أثاراً لكلا المنطقتين الطاردة والجاذبة معاً، وفيما يأتي خطوات البحث :-

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في مجموعة من التساؤلات والتي مفادها :-

١. هل لتغيير محل الإقامة قسرياً للسكان لهُ مخاطر ديموغرافية وإقتصادية في إرباك الخطط التنموية البشرية ؟
٢. هل لإتباع سياسة العزل العرقي والديني لهُ أبعاد سياسية تهدد الوحدة الوطنية للسكان وتمزيق شملهم ؟
٣. هل للحركة المكانية القسرية تباينات زمانية ومكانية ؟

فرضيات البحث

وللإجابة عن التساؤلات السابقة لمشكلة البحث فإننا نفترض الإجابات الآتية :-

١. يترك تغيير محل الإقامة قسرياً للسكان لهُ مخاطر ديموغرافية وإقتصادية في إرباك الخطط التنموية البشرية .
٢. تترك سياسة العزل العرقي والديني أبعاداً سياسية تهدد الوحدة الوطنية للسكان وتمزيق شمل الوطن.
٣. للحركة المكانية القسرية المؤقتة تباينات زمانية ومكانية حسب الظروف التي تطرأ عليها.

هدف البحث

يهدف البحث الى تشخيص حجم الحركة المكانية المؤقتة للسكان الذين جرى تغيير محل إقامتهم قسرياً وتحليل إتجاهات الحركة المكانية الداخلية حسب الوحدات الإدارية في محافظة نينوى والتعرف على أهم الأسباب التي دفعتهم الى تغيير محل إقامتهم ومعرفة التحديات التي تواجههم في أماكنهم الأصلية وتلك التي وفدوا إليها.

منهجية البحث

إعتمد البحث على التحليل الإحصائي والوصفي لقياس حجم الحركة المكانية القسرية للسكان، متخذاً من برامج نظم المعلومات الجغرافية وبرامج الأوفيس أداةً في تحليل وإعداد البحث.

الموقع والمساحة

تعد محافظة نينوى ثاني أكبر محافظة في العراق من حيث حجم السكان بعد العاصمة بغداد بعددٍ بلغ ٣٣١٨٠٠٠ نسمة بنسبة ٩,٧% من إجمالي سكان البلاد بحسب تقديرات وزارة التخطيط لسنة ٢٠١٧م ، إن الميزة الأساسية التي حملتها منطقة الدراسة أنها إحتوت ثقافات عدّه داخل مجتمعها فهناك الأكراد والعرب والشبك والتركمان والمسلمين والمسيحيين والأيزيدية والكاكائية ، ولكلٍ منهم ثقافتهِ الفرعية في إطار ثقافة نينوى الرئيسية ، فالتنوع الإثني لسكنتها جعل منها مركزاً للإتصال الثقافي

بين جماعاتٍ ثقافية مختلفة ذات مرتكزات أصول قومية أو دينية أو لغوية متنوعة وهي بذلك عبارة عن (منطقة ثقافية Cultural area) ، لكن الظروف الأمنية والسياسية المضطربة بعد سنة ٢٠٠٣م أفرزت تيارات من الحركات المكانية القسرية نتيجة الخوف من الإضطهاد والخطر بسبب الإنتماء الديني أو الإثني أو السياسي للسكان.

الخارطة (١) : الموقع الجغرافي والفلكي لمنطقة الدراسة (*).

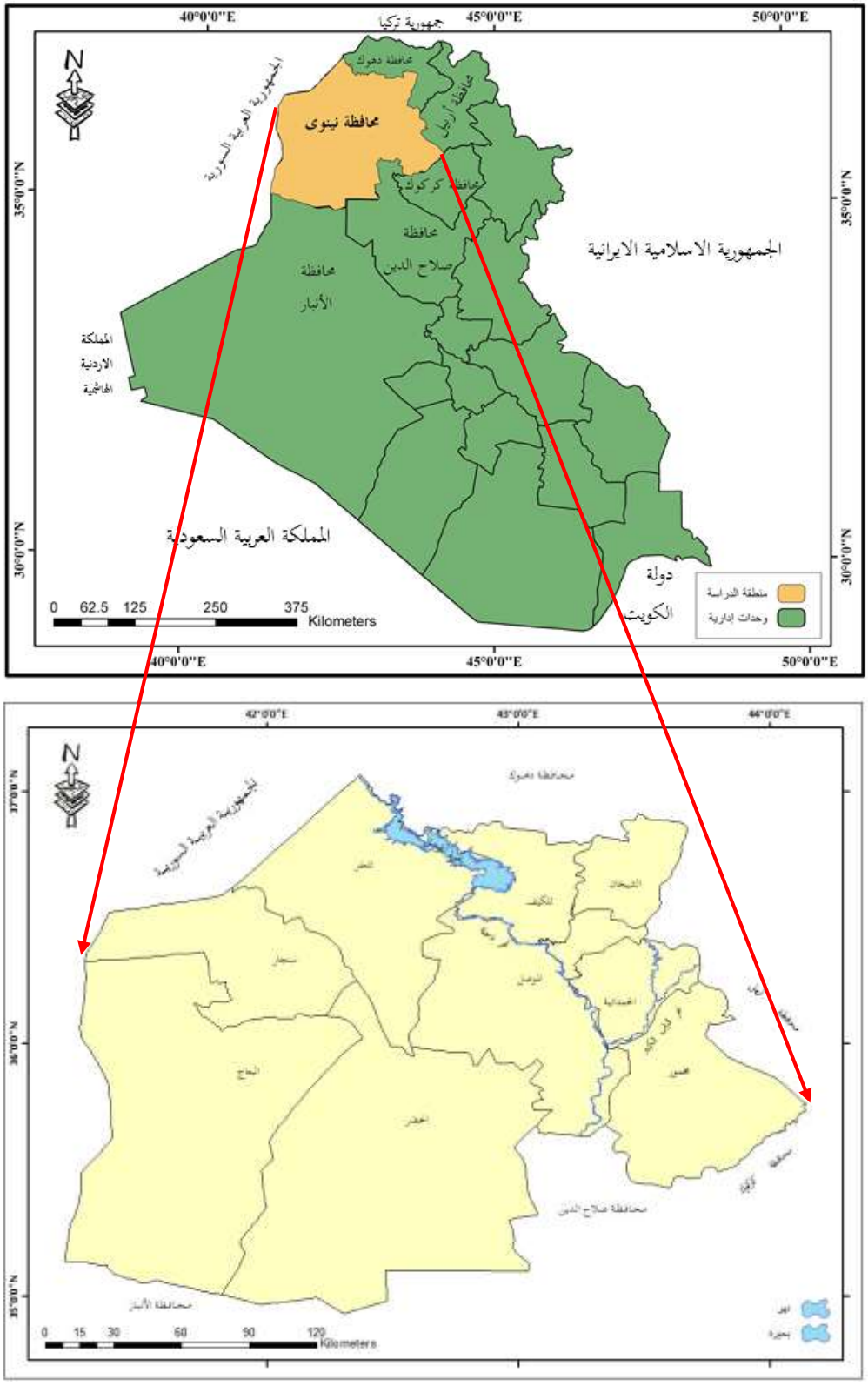

(*) المصادر: من عمل الباحث إعتماداً على:- أ. خارطة العراق الإدارية لسنة ٢٠٠٢م بمقياس رسم ١:٦٢٥٠٠٠٠.

ب. الخارطة الإدارية لمحافظة نينوى لعام ٢٠٢٤م، بمقياس رسم ١:١٠٠٠٠٠٠ .

تقع منطقة الدراسة شمال غرب العراق وتبلغ مساحتها ٣٤٤٩٥ كم^{٢} ، ينظر الخارطة (١)، وتضم المحافظة إدارياً تسعة أقضية وثلاثون ناحية ، ولموقع المحافظة وطبيعتها الجغرافية آثار واضحه على مجرى واقعها السياسي والحضاري والإجتماعي ، فقد رسمت عوامل البيئة الطبيعية لهذه المحافظة نشاطها السياسي والإقتصادي والثقافي والعسكري بشكلٍ أضحى من الصعب دراسة أي ناحية من هذه النواحي دون فهم البيئة الجغرافية(٣).

١. الحركة المكانية القسرية :

كما تمت الإشارة إليه أعلاه من أن المقصود بها حركة إجبارية قسرية للفرد أو الأسرة أو المجموعة السكانية على ترك محل إقامتهم الأصلي والنزوح قسراً إلى محل سكن أخر ، وذلك لأسباب غالباً ما تكون إثنية–طائفية وسياسية–أمنية (وهي ذات الاسباب في هذا البحث)، أو تكون طبيعية كالحرائق والفيضانات والزلازل والبراكين، تترك هذه الحركة المكانية القسرية أثاراً سلبية وإيجابية على كلا المنطقتين الأصل والوصول.

والحركة المكانية القسرية الداخلية المؤقتة تعد من أهم الحركات المكانية للسكان ويقصد بها تغيير دائم لمكان الاقامة من بيئة الى أخرى ، بقصد الإستقرار في بيئة جديدة أو أنها تغيير في محل الميلاد ومكان الإقامة الإعتيادية من منطقة سجل مدني إلى منطقة سجل مدني أخر وتحدث بصورة خاصة نتيجة مظاهر العنف والإضطهاد الطائفي في بلدان ذات التنوع الإثني والعرقي والديني(٤)، كما هو الحال في العراق. كما وتعد الحركة القسرية من أكثر أنواع الحركات المكانية إزعاجاً وإرباكاً سواءً للأفراد أو الجماعات، لأنها تأتي فجائية أحياناً ودون معرفةٍ مسبقة للمتحركين قسراً، وعادةً ما يطلق على الأشخاص الذين ينضون تحت هذا النوع من المتحركين قسرياً إسم (المهجرين أو النازحين) لأنهم أضطروا لمغادرة مساكنهم وأوطانهم بقرارتٍ حكومية أو سياسية أو أمنية وترافقها إنتهاكات لحقوق الإنسان.

فالعراق من بين الدول التي عانت ولا تزال تعاني من التهجير القسري لعددٍ من الأسر داخل البلاد ناتجة عن الإضطرابات الأمنية غير المستقرة وعوامل دينية وطائفية وما جاء به الإحتلال الأمريكي من تفرقة وتمزيق لوحدة الشعب وتغيير الخارطة الجغرافية للسكان.

أما خصائص الحركة المكانية القسرية لسكان منطقة الدراسة بأنها جماعية شملت فئات مختلفة من السكان، وأنها غير منتظمة وعشوائية نتيجة لسرعة إتخاذ القرارات وقساوة الأسباب القسرية، فهذه الحركة إجبارية قسرية غير طوعية ولا إختيارية، يرافقها فقدان بعض الأرواح والممتلكات، يميل النازحون للنزوح لأماكن حيث تكون نفس لغتهم وديانتهم هي نفسها السائدة في أماكن النزوح.

ولكي تكمن نتائج تحليل ودراسة مشكلة الحركة المكانية القسرية لسكان المحافظة خلال المدة ٢٠٠٣– ٢٠١٧ م ، فلابد من معرفة خصائصها وإتجاهاتها وكما يلي :–

٢. الاتجاه الزماني والمكاني للسكان النازحين قسرياً في محافظة نينوى

لقد شهدت محافظة نينوى حركات نزوح ووفود أعدادٍ كبيرة من السكان وبموجات متكررة من النزوح ناجمة عن الحروب والصراعات الداخلية، وخاصةً بعد ظهور تنظيم (داعش) الإرهابي في عام ٢٠١٤م، وقد غذت مجموعة عوامل هذه الأزمة، بما في ذلك العنف الطائفي والإرهاب والتدخلات العسكرية.

فبالنسبة لحركات النزوح من المحافظة في الفترة ٢٠٠٣–٢٠١٣م فقد هاجرت مئات أو الآف الأسر إلى منطقة إقليم كردستان العراق حيث يتوفر الأمن وفرص العمل فيه وكان نصيب محافظتي أربيل ودهوك أكبر الأعداد من هؤلاء النازحين من نينوى وغالبيتهم من القومية الكردية والديانتين المسيحية والأيزيدية، وبالرغم من عدم توفر الإحصائيات عن أعداد المغادرين من

المحافظة ولكن واقع الحال يوضح ذلك ، أما أعداد الوافدين من بقية المحافظات الى منطقة الدراسة فقد بلغ ٣١٣١٠ أسرة ، ومجموع أفرادها ١٧٤٥٠٥ نسمة ولنفس الفترة[٥]، وكما موضح في الجدول (١) والشكل (١) .

الجدول (١) الإتجاه المكاني ومجموع الأسر والأفراد والتركيب النوعي للوافدين قسرياً إلى محافظة نينوى للفترة ٢٠٠٣-٢٠١٣م(*)

المحافظة	الأسر	الأفراد	الذكور	الإناث	نسبة النوع
دهوك	10	59	35	24	145
نينوى	21510	124490	63706	60784	104
السليمانية	1	6	3	3	100
كركوك	219	1163	588	575	102
أربيل	33	204	100	104	96
ديالى	439	2497	1291	1206	107
الأنبار	167	1020	536	484	110
بغداد	7001	34740	17707	17033	103
بابل	81	428	227	201	112
كربلاء	3	17	10	7	142
واسط	9	58	26	32	81
صلاح الدين	113	664	350	314	111
النجف	1	6	3	3	100
القادسية	21	90	39	51	76
ذي قار	8	55	27	28	96
ميسان	10	54	30	24	125
البصرة	1684	8954	4547	4407	103
المجموع	31310	174505	89225	85280	104

(*) وزارة الهجرة والمهجرين / فرع نينوى ، بيانات غير منشورة ، ٢٠١٣ م .

الشكل (١) النازحون قسرياً بحسب المحافظات للفترة ٢٠٠٣-٢٠١٣م(*).

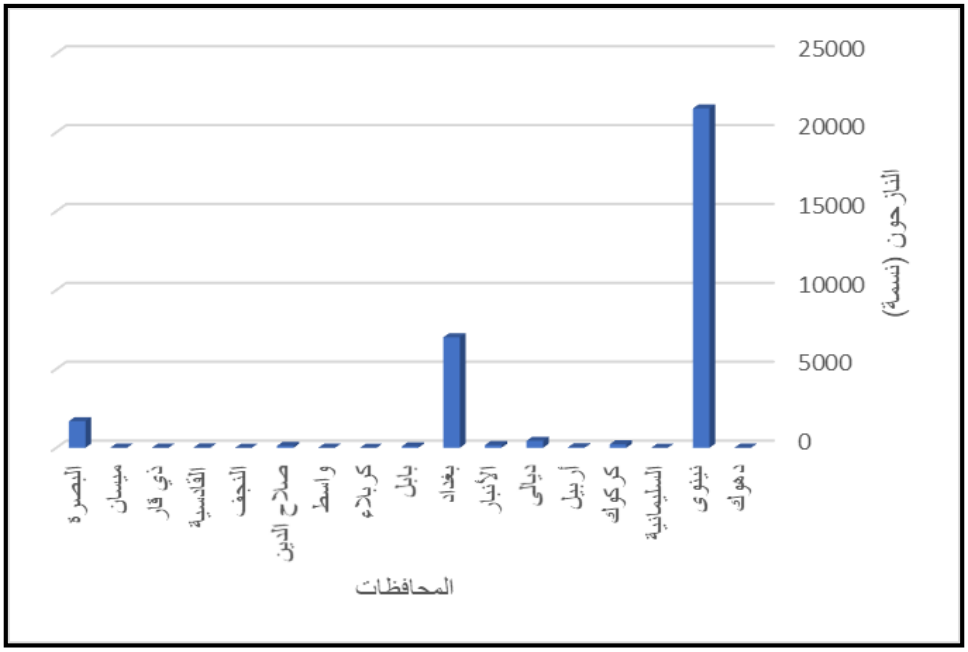

(*) المصدر: إعتماداً على بيانات الجدول (١).

وهناك تباين في حجمها وتركيبها بين مدة زمنية واخرى وتكاد تتشابه الاسباب المسببة للحركة المكانية القسرية الوافدة، وقد تدرجت أعداد النازحين الوافدين إلى منطقة الدراسة والمغادرين منها قسرياً تدريجياً سنةً بعد أخرى بحسب تدهور الظروف في منطقة الأصل، وتعزى أسباب النزوح قسرياً لفقدان الأمن داخل البلاد وظهور النزعات الطائفية ضد أصحاب الديانات المختلفة خاصةً المسيحيين والإيزيديين، وتعرض أبنائهم في مراكز هذه المحافظات للتهديد والخطف والقتل من قبل المجاميع الإرهابية ، مما دفع بأباء هذه الأسر إلى ترك أماكن إقامتهم والإقامة في أماكن أخرى أكثرُ أمناً حيث توجد صلات قرابة بينهم وبين سكان مناطق الوصول أو لوجود الخدمات في مخيمات الوصول.

كما توجد تيارات من الحركة المكانية القسرية من نوعٍ أخر تمثلت بنزوح أسر أخرى من المناطق المتنازع عليها بين محافظة نينوى وحكومة إقليم كردستان العراق، فضلاً عن تيارات من الحركة المكانية من قضائي بعاج والحضر نتيجةً لتذبذب سقوط الأمطار وزحف الكثبان الرملية لسكناهم أدى كله إلى وفود أسر بأكملها إلى مدينة الموصل والمناطق المجاورة لها.

لقد تسارعت وتائر العنف وطبيعته بشكلٍ كبير بعد أحداث تفجير مرقد الإمامين العسكريين في سامراء شباط/٢٠٠٦م، من دون أن يعني ذلك أن عمليات التهجير القسري هذه قد بدأت مع لحظة سامراء، ولكنها تكثفت وأخذت غطاءً سياسياً بعدها فقد كانت ذات طابع عرقي أو طائفي بعد نيسان ٢٠٠٣م في الكثير من مناطق العراق[٦].

وصنف النازحون قسرياً بحسب **النوع** إلى 89225 ذكراً بنسبة ٥١,١% مقابل 85280 أنثى بنسبة ٤٨,٩% من المجموع الكلي للنازحين وبنسبة نوع بلغت ١٠٤ ذكراً لكل ١٠٠ أنثى.

أما بحسب **قومياتهم** فمن خلال الجدول (٢) والشكل (٢) يتوزع النازحون إلى ٢١٢٤١ أسرة من العرب ، ٤١٣٥ أسرة كردية، و٣١٤٢ أسرة شبكية، و١٠٣٠ أسرة تركمانية، و ٤٣٨ أسرة كلدانية، و٤٢٧ أسرة سريانية، و٢١١ أسرة آشورية، و١٥ أسرة أرمنية في حين ٦٧١ أسرة لم تذكر قوميتها .

الجدول (٢) التوزيع القومي للنازحين في محافظة نينوى للفترة ٢٠٠٣–٢٠١٣م.

القومية	عدد الأسر	%
العرب	٢١٢٤١	٦٧,٨٤
كرد	٤١٣٥	١٣,٢١
شبك	٣١٤٢	١٠,٠٤
تركمان	١٠٣٠	٣,٢٩
كلدان	٤٣٨	١,٤٠
سريان	٤٢٧	١,٣٦
آشور	٢١١	٠,٦٧
أرمن	١٥	٠,٠٥
لم تذكر القومية	٦٧١	٢,١٤
المجموع	٣١٣١٠	١٠٠

(*) وزارة الهجرة والمهجرين / فرع نينوى ، بيانات غير منشورة ، ٢٠١٣ م .

الشكل (٢): التوزيع القومي للنازحين في محافظة نينوى للفترة ٢٠٠٣-٢٠١٣م.

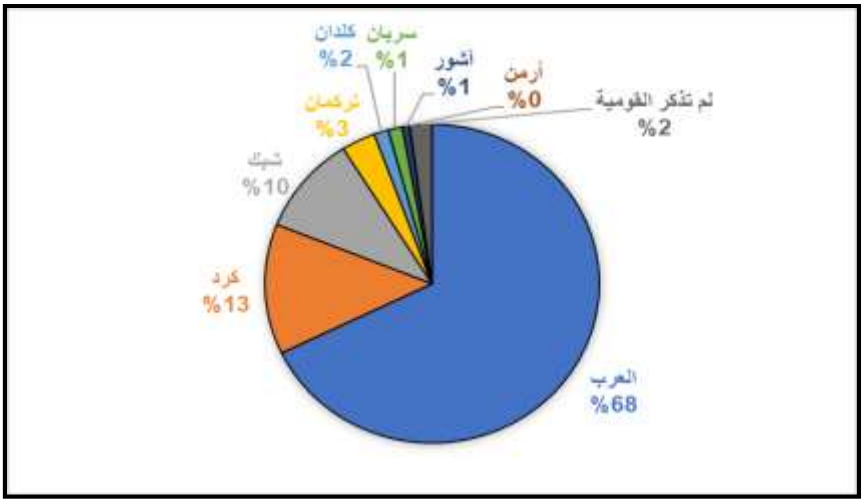

(*) المصدر: إعتماداً على بيانات الجدول (٢).

وقد صنفوا تصنيفاً أخر على أساس **دياناتهم** ينظر للجدول (٣) والشكل (٣)، فكان المسلمين يشكلون ٢٥٨٧٢ أسرة بنسبة ٨٢,٦% من مجموع النازحين قسرياً ، أما المسيحيين فعددهم ٥١٣٨ أسرة بنسبة ١٦,٥% ، وأما الأيزيدية فبلغ نازحيهم ٢٩٨ أسرة بنسبة ٠,٩% من مجموع النازحين قسرياً للفترة ٢٠٠٣-٢٠١٣.

الجدول (٣) التوزيع الديني للنازحين في محافظة نينوى للفترة ٢٠٠٣-٢٠١٣م.

الديانة	عدد الأسر	%
المسلمين	٢٥٨٧٢	٨٢,٦
المسيحيين	٥١٣٩	١٦,٤
الأيزيديين	٢٩٩	١,٠
المجموع	٣١٣١٠	١٠٠

(*) وزارة الهجرة والمهجرين / فرع نينوى ، بيانات غير منشورة ، ٢٠١٣ م .

الشكل (٣) التوزيع الديني للنازحين في محافظة نينوى للفترة ٢٠٠٣-٢٠١٣م.

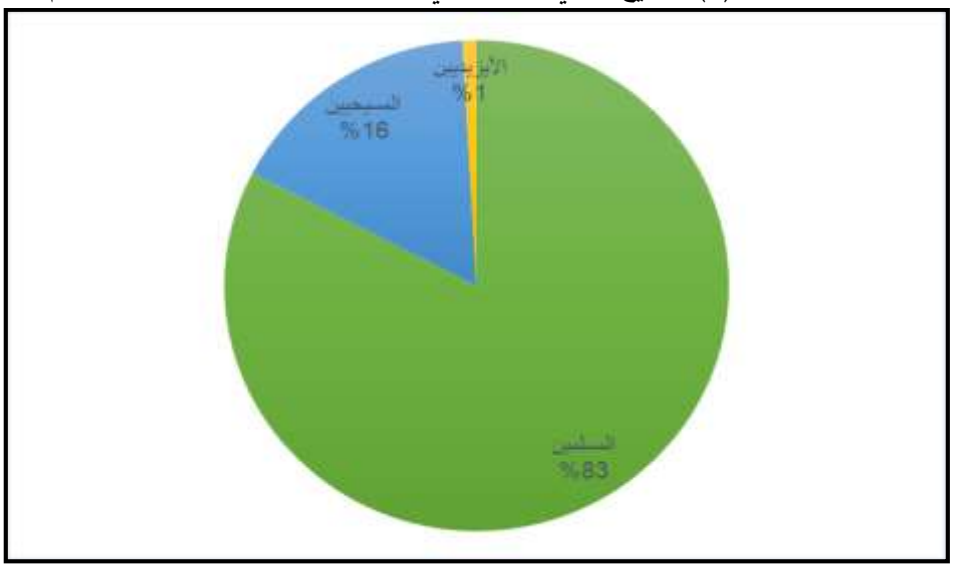

(*) المصدر: إعتماداً على بيانات الجدول (٣).

أما في السنوات التالية فإزدادت فجأةً أعداد النازحين المغادرين قسرياً من محافظة نينوى، هرباً من الظروف المهددة للحياة في منطقة الأصل، إذ شهد العراق وعلى رأسها منطقة الدراسة خلال الفترة من ٢٠١٤/٦/١٠ وإلى نهاية عام ٢٠١٧م موجة عارمة من النزوح والتهجير الجماعي، حيث ان عدداً كبيراً من هذا النزوح والتهجير كان بسبب دخول عصابات داعش الارهابية الى محافظات نينوى وصلاح الدين وديالى وجزء من محافظتي كركوك والانبار، والذي نتج عنه قيام عمليات عسكرية كبيرة ضد هذا المد الارهابي، مما دفع مئات الآلاف من الأشخاص على النزوح شمالاً الى اقليم كوردستان ومحافظة كركوك، وجنوباً إلى المحافظات الوسطى والجنوبية والعاصمة بغداد حيث يستتب الامن والاستقرار.

إن محافظة نينوى من المحافظات التي تعرضت الى النزوح المزدوج الأول بين بعض الاقضية والنواحي في المحافظة ذاتها، والثاني من المحافظات المجاورة لها، الأمر الذي إنعكس سلباً على إمكانيات وقدرات حكوماتها المحلية في كيفية مواجهة أزمة النزوح ومعالجتها ويتضح من الجدول (٤) والخارطة (٢) أن محافظة نينوى جاءت بالمرتبة الثانية حيث أستقبلت ٤٢٥٧٤ أسرة نازحة من داخل المحافظة ذاتها، ويلاحظ بشكلٍ عام أن النازحين قسرياً قد تحركوا مكانياً من مناطق إثنية ودينية مختلطة إلى مناطق ذات مجتمعات متجانسة، فقد تحرك الشبك والتركمان الشيعة نحو قراهم في سهل نينوى.

الجدول (٤) الإتجاه المكاني للأسر النازحة قسرياً من محافظة نينوى والمحافظات الأخرى (عدا إقليم كردستان).

محافظة الأصل	محافظة الوصول (نينوى)
نينوى	٤٢٥٧٤
بغداد	٧٤٤٥
البصرة	٢٢٨٤
ديالى	٤٨٧
كركوك	٣٦٦
الأنبار	٢٠٩
صلاح الدين	١٦٠
بابل	٩٥
القادسية	٢٤
ذي قار	١٢
واسط	١١
ميسان	١٠
كربلاء	٤
النجف	٣
المثنى	١
المجموع	٥٣٦٨٥

المصدر: من إعداد الباحث إعتماداً على وزارة الهجرة والمهجرين ، قسم المعلومات والبحوث، بيانات غير منشورة، ٢٠٢٤م.

أما الأكراد فنزحوا نحو نواحي الكلك وبرده رش وبعشيقة وفايده حيث تسود القومية الكردية، أما المسيحيون فقد نزحوا بشكلٍ عام من مدن الموصل وبغداد وبعقوبة والبصرة نحو البلدات المسيحية في محافظة نينوى مثل قره قوش وبرطلة وتلكيف وتل أسقف وباقوفه وباطنايا وبحزاني، لكنهم ما لبثوا أن نزحوا جميعاً إلى إقليم كردستان ومنهم من غادر الوطن نهائياً إلى أستراليا والولايات المتحدة وكندا ودول أوربا وذلك بعد هجوم وسيطرة داعش الإرهابي على البلدات أعلاه.

الخارطة (٢) الإتجاه المكاني للنازحين العائدين الى مناطقهم الاصلية من الوحدات الإدارية إلى محافظة نينوى .

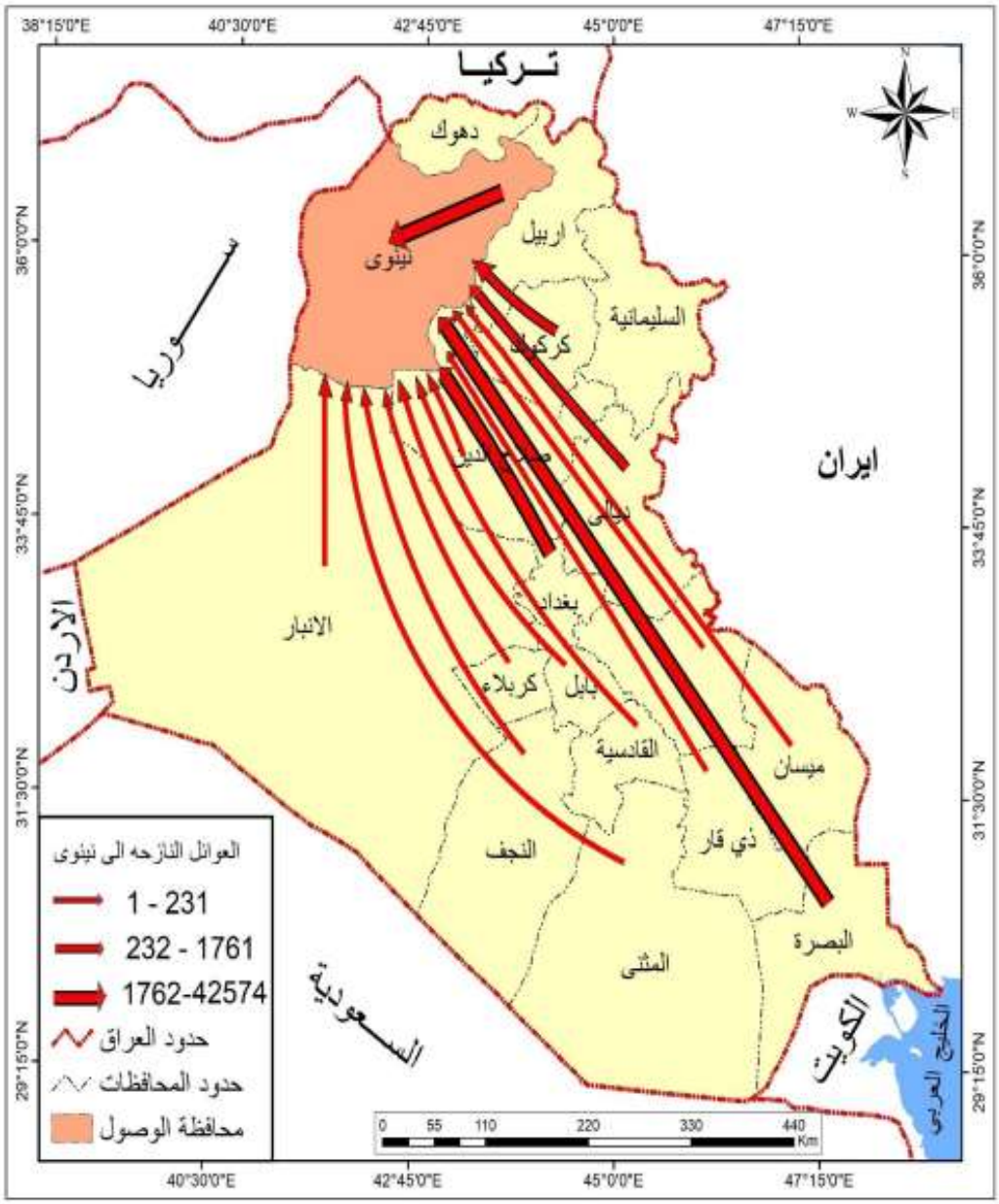

المصدر: من عمل الباحث إعتماداً على بيانات الجدول (٢).

وبلغ العدد الكلي للنازحين في عموم العراق ٢١٨١١١٨ نازح، يشكلون ٤٤٥٢٥٨ أسرة وينتشرون في حوالي ٥١١ موقع في أنحاء البلاد، وطبقاً لإحصائيات وزارة التخطيط في إقليم كردستان فهنالك أكثر من مليون ونصف نازح عراقي في الإقليم، وبتاريخ ٢٠١٤/٨/١٤م وصل عدد النازحين إلى محافظة دهوك لوحدها أكثر من ٣٠٠ ألف نسمة يفترشون الجزرات الوسطية، بينما إستقبلت محافظة كركوك لوحدها أكثر من ٢٠٠ ألف نازح[٧]، ، إذ أن توسع تنظيم داعش الإرهابي أنذاك من السيطرة على الموصل تبعها إحتلالهِ للأقضية والنواحي المحيطة بها بعد أقل من شهرين مثل سنجار، بعشيقة حيث يسكن الايزيدية تسبب بتشريد أكثر من ٢٠٠ ألف نازح بالإضافة إلى خطف وسبي نسائهم ومازال إلى الآن هناك أكثر من ٢٠٠٠ إمرأة وفتاة مختطفة لدى التنظيم الإرهابي، كما أن سيطرة داعش على تلعفر حيث الغالبية التركمانية وعلى بلدات سهل نينوى أدى إلى النزوح القسري لأكثر من ٢٠٠ ألف نسمة أخرى إلى محافظات بغداد وكركوك ووسط وجنوب العراق .

بحسب بيانات منظمة الهجرة الدولية (IOM) بلغ عدد النازحين من محافظة نينوى ١,٢٣٥,١٦٦ نازح بنسبة ٤٠% من مجموع النازحين في البلاد للفترة كانون الثاني ٢٠١٤ ولغاية كانون الأول ٢٠١٦م[٨]. في حين أشارت نفس المنظمة (الهجرة الدولية) إلى وجود ١,٠٢١,٢٧٨ نازح و٤٨١,٢٢٤ عائد في محافظة نينوى لعام ٢٠١٧م[٩]. بينما اشار تقرير الوضع الانساني الصادر عن مكتب الامم المتحدة لتنسيق الشؤون الانسانية في العراق انه للفترة ما بين ١٧ تشرين الاول ٢٠١٦ ولغاية ١١ أذار ٢٠١٧ نزح ما مجموعه ٢٩٢,٨٤٨ شخصاً من الموصل، وقد عاد منهم ٦٨,٥٥٠ شخص الى مناطقهم الاصلية. واعتباراً من ١١ أذار فهنالك ٢٢٤,٢٩٨ نازح يعيشون في مواقع النزوح والمخيمات نتيجة للازمة الانسانية في الموصل، ويشكل هذا العدد الأكبر للنازحين منذ بدء العمليات العسكرية.[١٠]

أما مدينة الموصل فبلغ عدد النازحين الكلي منها ٨٥٤٣٢٧ نازح منذ بدء عمليات تحرير المدينة في ١٧ تشرين الأول/٢٠١٦م إستمرت موجة النزوح من غرب مدينة الموصل (الجانب الأيمن) التي انطلقت عملية تحريره في ١٩ شباط ٢٠١٧م فرَ ما مجموعهُ ٦٧٨١٧٧ نسمة

لقد كان معدل النزوح القسري من مدينة الموصل القديمة ما بين ٣٥٠٠–٨٤٠٠ شخص يومياً للفترة ٥–٢٠١٧/٦/١١م، وفي نهاية شهر أيار/٢٠١٧م، عاد ١٧٧،٤٨٣ شخص إلى مدينة الموصل ، حيث عاد ٤٢،٢٤٦ شخص إلى غرب الموصل (الجانب الأيمن)، بينما عاد ١٣٥،٢٣٧ شخص إلى شرق الموصل (الجانب الأيسر)، مما يعني وجود ٦٧٦،٨٤٤ نازح من مدينة الموصل[١١] حالياً (نهاية ٢٠١٧).

وقد أدت العمليات العسكرية لتحرير مدينة الموصل وبقية أقضية محافظة نينوى إلى نزوح الألاف بلغ عدد الأسر النازحة إلى المخيمات المقامة داخل نينوى بلغ ١٥٢,٦٩٠ أسرة مجموع أفرادها ٩١٦,١٤٠ نسمة بنسبة ٥٥,٨% من مجموع النازحين داخل محافظة نينوى، موزعين على ٢٤ مخيماً[١٢]، قامت وزارة الهجرة والمهجرين وبعض المنظمات الدولية في إنشائها ووفرت لهم المستلزمات الأساسية من خيم وإحتياجات النوم والغذاء والإحتياجات الضرورية العاجلة، ويمكن أن نعزو التركيز الجغرافي للسكان النازحين إلى قرب مناطق النزوح جغرافياً من مناطقهم الأصليّة، إضافة إلى رغبة النازحين في التكتل مع المجموعات التي تشاطرهم نفس الخصائص والسمات في منطقة النزوح[١٣].

٣. الحركة المكانية القسرية للنازحين من الجانب الأيمن إلى المخيمات للفترة ٢٠١٧/٢/١٩ – ٢٠١٧/٣/٣٠م:

يمثل الجانب الأيمن لمدينة الموصل العمق التأريخي للمدينة ويضم معظم معالمها الحضارية، وفيه تراث المدينة وتأريخ أجدادها، ويتميز بأنهُ أصغر مساحةً من الجانب الأيسر وأقل عدداً بالسكان أيضاً، لكنهُ أكثر كثافةً وتضرساً في طوبوغرافيته، وتمتاز الكثير من منازله بقدم إشغالها من السكان نظراً لتوارثها، كما أن المدينة القديمة هي أقدم أجزاء المدينة قاطبةً وشهدت أعنف العمليات العسكرية لتحريرها، إذ بدأت معارك تحرير الجانب الأيمن من مدينة الموصل في ٢٠١٧/٢/١٩ لأحياء تل الرمان والمأمون والشهداء وتدريجياً إلى أن حوصرت المنطقة القديمة، وبلغ مجموع النازحين خلال المدة أعلاه ٣٨٧١٠ عائلة مجموع أفرادها ٢٢٢٢٨٦ نسمة ومن الجدول (٢) والخارطة (٣) يتضح أن إتجاه غالبية النازحين من الجانب الأيمن كان إلى مخيمات الجدعة/٥ والحاج علي والنركزلية/٢ والخازر هذا قبل إفتتاح مخيمات السلامية وحمام العليل، بعدد بلغ ١٨١١ نسمة، بالمقابل هنالك ٩٧٦ نسمة نزحوا إلى مناطق محررة من الجانب الأيسر للموصل ومناطق الشورة وحمام العليل والقيارة لنفس الفترة، لوجود أقارب ومعارف لهم فيها أو لتوفر سبل العيش هناك.

٤. الصعوبات التي يعانيها النازحون والعائدون:

لقد إتضح من تقرير إعادة الإستقرار للمناطق المحررة أن ٥٦% من العدد الحالي للنازحين داخلياً في العراق هم من محافظة نينوى ٦٦٠,٩١٤ نسمة وخاصة من مناطق الموصل بعدد بلغ 242,697 نسمة وسنجار ١٨٣,٢٧٤ نسمة والبعاج

١٨٣،٢٧٤ نسمة، إن من بين الأسباب التي تجعل معظم النازحين داخلياً المتبقين في العراق والبالغ عددهم ١,٧٧٧,٢٣٤ مليونًا لا يرغبون في العودة هي:-

أ. نقص السكن بنسبة تصل الى ٥٩ %.

ب. نقص فرص كسب العيش ٥٤ %.

جـ. عدم كفاية السلامة بنسبة ٣%.

د. الأمن ٤٦ [١٤]% .

الجدول (٢) **الحركة المكانية القسرية للنازحين من الجانب الأيمن إلى المخيمات للفترة ٢٠١٧/٢/١٩ – ٢٠١٧/٣/٣٠م**[*]

عدد العوائل	عدد الأفراد	منطقة النزوح	مخيم النزوح أو منطقة الإستقبال
63	284	بادوش	النركزلية ٢
1	9	بادوش	الجدعة ١
16	64	تل الرمان	الجدعة ٢
1	6	اليرموك	الجدعة ٣
7	30	تل الرمان ، اليرموك	الجدعة ٤
173	953	رجم حديد	الجدعة ٥
89	360	الشهداء	الحاج علي
28	144	العامل	القيارة (مدرج المطار)
11	55	الهرمات ، وادي حجر ، حي التنك	حسن شام (المحافظة)
42	214	بادوش، هرمات، باب البيض، إصلاح الزراعي	الخازر
170	828	حي الآبار، الرسالة، المغرب، المطاحن، شقق اليرموك، الإصلاح الزراعي، موصل الجديدة، رجم حديد، نابلس، الصناعة القديمة، تل الرمان، العامل، الشهداء، المنصور، الصحة، الشفاء، العروبة، الثورة، ومناطق الحميدات والكسك والمحلبية.	مناطق محررة في الجانب الأيسر
30	148	حي الآبار، الرسالة، المغرب، المطاحن، شقق اليرموك، الإصلاح الزراعي، موصل الجديدة، رجم حديد، نابلس، الصناعة القديمة، تل الرمان، العامل، الشهداء، المنصور، الصحة، الشفاء، العروبة، الثورة، ومناطق الحميدات والكسك والمحلبية.	مناطق محررة في (حمام العليل ، القيارة، الشورة)
631	3095	المجموع	

[*] وزارة الهجرة والمهجرين، دائرة الفروع، مكتب نينوى، ٢٠١٧م.

لقد نتج عن المعارك الأخيرة بين القوات الحكومية العراقية وعصابات داعش الإرهابية موجات نزوح داخلي فاقت قدرة الجهود الحكومية ومنظمات الإغاثة الدولية ، مع ذلك فقد عاد ٤٢٢٤٦ نسمة عادوا إلى الجانب الأيمن من مدينة الموصل إلى تاريخ ٢٠١٧/٥/٣١م ، في حين كان مجموع العائدين إلى الجانب الأيسر يفوق أضعاف نظيره الأيمن إذ بلغ ١٣٥٢٣٧ نسمة ولنفس الفترة ، لكن هؤلاء العائدين يعانون صعوبات تتشابه مع أولئك السكان الذين مازالوا نازحين ويمكن إجمال هذه الصعوبات لكليهما بما يلي:-

الخارطة (٣) الإتجاه المكاني للنازحين والعائدين لسكان محافظة نينوى لغاية ٢٠١٧/٦/١١م(*)

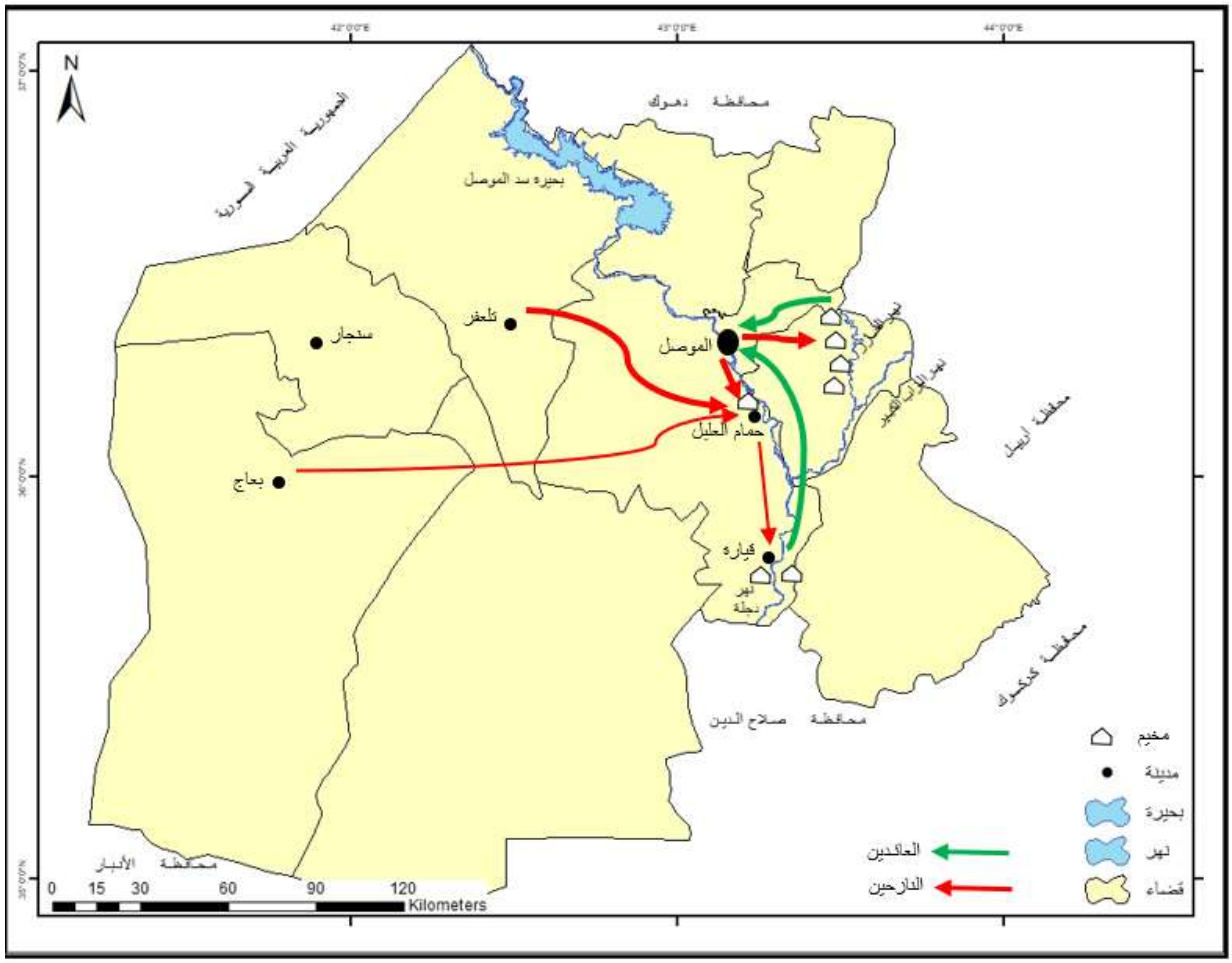

(*) من عمل الباحث إعتماداً على بيانات مكتب الأمُم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في العراق (OCHA) تقرير الوضع الإنساني رقم ٣٧.

أ. تدمير المنازل:

إن محافظة نينوى وقبل هذه الأحداث كانت تعاني من عجز سكني حاد بلغ حجمهُ ١٤٤٤٧١ وحدة سكنية، تتباين المشكلة بيئياً إذ بلغ العجز السكني الحضري في المحافظة ٦٨٣٥١ وحدة سكنية، ولكن يزداد حجمها في الريف إلى ٧٦١٢٠ وحدة سكنية وفي مدينة الموصل بلغ هذا العجز ٢٠٤٨٩ وحدة سكنية(١٥).

بعد إنتهاء الأعمال القتالية في المدينة إتضح مدى الضرر الذي لحق بالمنازل والبنية التحتية، فمن بين ٥٤ حياً سكنياً في الجانب الأيمن، دُمِرَ ١٥ حياً بالكامل، وتهدمت نصف المنازل والمباني العامة في ٢٣ حي آخر وتساوت مع الأرض، ووفقاً للتقديرات الحالية فقد تدمر ٣٢٠٠٠ منزل بالكامل في الجانب الأيمن فقط، مما أدى إلى نزوح ٢٠٠ ألف نسمة(١٦)، فتدمير الممتلكات يعد أحد أهم المشاكل والصعاب التي يعانيها السكان.

ب. فقدان سبل العيش:

إن مصطلح سبل العيش Livelihoods يقصد بهِ مصادر الرزق وفرص العمل، وإن من نتائج الحروب وضعف الاستقرار الأمني تدمير مصالح السكان وخسارة مصادر أرزاقهم، كما إن حرب الشوارع وضراوة المعارك في المدينة القديمة خلفت خراباً هائلاً ليس في المنازل فقط بل المحلات التجارية ولِمَّا تبقى من مصانع وورش صغيرة، فقد تضررت منطقة الأعمال

المركزية (CBD) بالكامل والتي تضم مناطق باب الطوب، باب سنجار، السرجخانة، سوق السراي، الدواسة .. ألخ، وكلها مناطق تجارية تقع في قلب المدينة كان يعتمد عليها آلاف أرباب الأسر والذين يعيلون أفراد أسرهم الذين يفوقونهم عدداً، وأن عملية إعادة إعمارها تستغرق وقتاً وتأخر صرف مبالغ التعويضات فاقم الوضع سوءاً.

جـ. فقدان الممتلكات والأرواح:

لقد أدت المعارك ومن قبلها ممارسات داعش الإرهابي بحق أبناء المدينة آلاف القتلى والجرحى وقد بلغ مجموع ضحايا عمليات تحرير الموصل من المدنيين بتقديرات تتراوح بين ٩,٠٠٠ و١٣,٢٧٥ قتيلاً[١٧]، بعض العوائل ماتت كلها تحت أنقاض منازلها، والبعض الأخر بقي بضعة أفرادٍ من أسرهم، وإزدادت نسب الأسر التي تقودها نساء، مما يدل على نسب الترمل المنتشرة في المجتمع، هذا بالإضافة إلى أعداد الأيتام التي تفوقهم عدداً، كما أن تدمير المركبات بكافة أحجامها وإحتراقها فضلاً عن الأثاث والأجهزة المنزلية قد زاد واقع الحال تدهوراً، مما يصعب على العوائل إعادة تكييف نفسها مع الوضع الراهن.

د. تعويضات المتضررين :

عملت الحكومة العراقية على فتح دوائر فرعية في مراكز المحافظات المتضررة من سيطرة داعش الإرهابي لتعويض المتضررين من العمليات العسكرية والإرهابية أثناء عمليات التحرير، وإن هذه التعويضات مهما كانت قيمتها فهي لا تعوض ما فقدوا من أرواح المقربين، لكنها تساعد الأسر على إعادة حياتها الطبيعية، إلا أن روتين إنجاز المعاملة ومراجعة الدوائر ذات العلاقة تستغرق وقتاً طويلاً وحتى المنجز منها تتأخر صرف مبالغ التعويضات، ومما يفاقم الوضع سوءاً وجود سماسرة يستغلون معاناة هذه العوائل بإنجازها بوقتٍ أقصر لقاء مبلغ مالي وبنسب قد تصل إلى ٥٠% من مبلغ التعويض !

هـ. المخاوف الأمنية :

تلعب الهواجس الأمنية دوراً في عرقلة جهود إعادة النازحين لأماكن سكناهم الأصلية، إذ تشير التقديرات إلى أن من بين أكثر من ثلاثة ملايين نسمة وهم مجموع سكان نينوى فإن هناك حوالي ١,٩ مليون نازح عادوا إلى ديارهم في نينوى. ومع ذلك فأن ما عدده ٦٨٧,٨٧٥ شخص ما زالوا نازحين ولم يعودوا بعد إلى مناطقهم الأصلية . ولا تزال محافظة نينوى تستضيف أكبر عدد من العائدين الذين يعيشون في ظروف قاسية، حيث بلغ عددهم في محافظة نينوى 302،235 فرداً .

كما توجد مناطق من نينوى تعاني من ظروف قاسية للعودة إذ ساءت الأوضاع في سنجار والبعاج، حيث أظهرت المواقع التي تم تقييمها حديثًا انخفاضًا في الأنشطة الزراعية والحيوانية، والأعمال التجارية، وكذلك انخفاض في تجهيز الكهرباء اضافة الى ضعف الخدمات المقدمة من قبل موظفي الخدمة المدنية والمعلمين والممرضات والشرطة واخرين، إلى جانب غياب عمليات المصالحة والحياة العامة المتوترة[١٨]. فتعدد القوى الأمنية والعسكرية في قضاء سنجار وإختلاف التوجهات السياسية وتشتت القرارات تدفع جميعها بتخلخل أمني ينعكس على عدم الإستقرار ويحول دون عودة النازحين الإيزيديين لمناطق سكناهم في سنجار.

كما أن إنخراط أبناء بعض الأسر في تنظيم داعش الإرهابي قد تسبب بتوترات عشائرية تمنع من عودة هذه الأسر لمناطق سكناها الأصلية، وهذا يحتاج لجهود مصالحة مجتمعية وطنية مشتركة تفتح صفحة جديدة نحو بناء وطن يحتضن جميع المكونات.

الاستنتاجات

كشف البحث مجموعة استنتاجات علمية أبرزها:-

١- إن الحركة المكانية القسرية تحدث بتأثير عوامل إجبارية سببها جملة من العوامل القسرية التي لا يستطيع السكان مقاومتها وتمثلت بالعنف الطائفي والتدهور الأمني.

٢- شكل النازحون قسرياً من محافظة نينوى أكبر نسبة من النازحين في البلاد مع وجود تذبذب في الاتجاه الزماني للنازحين قسرياً طيلة المدة ٢٠٠٣-٢٠١٧ بلغت ذروتها في السنوات ٢٠٠٦، ٢٠١٤ و٢٠١٧م وهذا يعزى الى طبيعة الظروف السائدة من سنةٍ إلى أخرى.

٣- إن الحركة المكانية للنازحين قسرياً أُسرية وليست فردية لذلك ضمت فئات عمرية مختلفة.

٤- يواجه معظم النازحون قسرياً من صعوبات قاسية تتمثل بتدمير منازلهم وفقدانهم لممتلكاتهم ومصادر دخلهم بالإضافة إلى مخاوفهم الأمنية من العودة خشية تكرار النزوح.

المقترحات

بناءً على الاستنتاجات السابقة نقدم المقترحات الآتية:-

١- ضرورة قيام حكومة وطنية معتدلة أساسها المساواة بين المجتمع ، وهذا ما يجعل السكان أكثرُ إستقراراً وأماناً.

٢- شيوع مبدأ المواطنة والشعور الوطني ونبذ التفرقة والعنصرية والتفريق على أساس ديني وعرقي وطائفي وقومي لما لهما من أثار سياسية وإقتصادية وإجتماعية على جميع مكونات المجتمع العراقي.

٣- الضرورة القصوى لإستدامة الوضع الأمني في عموم العراق ، وإعادة النازحين الى مناطقهم للقضاء او التقليل من الآثار المختلفة التي خلفوها في المناطق التي نزحوا منها والمناطق التي وفدوا إليها.

٤- النظر في أسباب الحركة المكانية القسرية من قبل الجهات المعنية لحل مشاكل النازحين وتعويضهم.

المصادر

(١) طه حمادي الحديثي، جغرافية السكان، ط٢، دار إبن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، الموصل، ٢٠٠٠م، ص ٤٤٧ .

(٢) منشورات الأمم المتحدة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP)، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٩، تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية ، المكتب الإقليمي للدول العربية، بيروت ، ٢٠٠٩م، ص ٩٣.

(٣) قصي رياض كنعان الألوسي ، التوزيع الجيواثنوغرافي في محافظة نينوى دراسة انثروبولوجية ، رسالة ماجستير في الاجتماع ، كلية الآداب، جامعة الموصل، غير منشورة ، ٢٠٠٥م، ص٢٣ .

(٤) إسحق القطب ، الهجرة من الريف الى المدن في الوطن العربي ، المعهد العربي للانماء والمدن ، المؤتمر الخامس ، مدينة الرباط ، المملكة المغربية ، ١٩٨٦م ، ص ٥ .

(٥) وزارة الهجرة والمهجرين ، دائرة الهجرة والمهجرين / فرع نينوى ، بيانات غير منشورة ، ٢٠١٣ م .

(٦) وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، العراق التقرير الوطني لحال التنمية البشرية للعام ٢٠٠٨م، المطابع المركزية، بغداد، ٢٠٠٩م، ص ٦٧.

(٧) رئاسة الوزراء، المفوضية العليا لحقوق الإنسان العراقية، تقرير النازحون والمهجرون داخلياً من ٢٠١٤/٦/١٠ ولغاية ٢٠١٥/٥/١٠م، بغداد، ٢٠١٥م، ص ٣.

(٨) الأمم المتحدة، المنظمة الدولية للهجرة – العراق، مصفوفة تتبع النزوح، الجولة (٦٠) ، كانون الاول ،٢٠١٦ص٣ .

(٩) International Organization for Migration, Displacement Tracing Matrix, Iraq Displacement & Returns in 2017, 29 October 2017.

(١٠) الأمم المتحدة، مكتب الامم المتحدة لتنسيق الشؤون الانسانية في العراق، العراق: الاستجابة الانسانية للموصل، تقرير الوضع الانساني رقم ٢٤، في ٦– ١٢ أذار ٢٠١٧، ص ٢. على الرابط التالي :

http://reliefweb.int/report/iraq/iraq-mosul-humanitarian-response-situation-reportno-24-6-march-12-march-2017-enkuar

(١١) الأمم المتحدة، مكتب الأمُم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في العراق (OCHA) ، تقرير الوضع الإنساني رقم ٣٧ (٥– ٢٠١٧/٦/١١م، ص١.

(١٢) وهذه المخيمات موزعة بالشكل الآتي: ١٠ مخيمات في قضاء الموصل و ٨ في قضاء الحمدانية والشيخان ٥ مخيمات وتلكيف مخيم واحد.

(١٣) الأمم المتحدة، المنظمة الدوليّة للهجرة في العراق ، نظرة عامة على النزوح في العراق: مصفوفة تتبّع النزوح، التقييم الموقعي المتكامل الخامس، ٢٠٢٠ م، ص ٧.

(١٤) الأمم المتحدة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP)، تقرير إعادة الإستقرار للمناطق المحررة : تقرير الربع الثاني ٢٠٢٢، بغداد، ٢٠٢٢م، ص ٩.

(١٥) وزارة التخطيط، مديرية تخطيط نينوى، خطة التنمية المكانية لمحافظة نينوى ٢٠١٠–٢٠٢٠م، قطاع الإسكان في محافظة نينوى، تقرير غير منشور، ٢٠١٣م، ص ص ٤٨–٥١.

(١٦) الأمم المتحدة، مكتب الأمُم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في العراق (OCHA) ، النشرة الإنسانية في العراق لشهر تموز ٢٠١٧، ١/ آب / ٢٠١٧م، ص٤.

(١٧) منظمة العفو الدولية، تقرير مهما كان الثمن : الكارثة المدنية في غرب الموصل بالعراق ، ط١، لندن، أذار ٢٠١٧م، ص ٦.

(١٨) الأمم المتحدة، برنامج الامم المتحدة الانمائي (UNDP)، مكتب العراق، برنامج إعادة الاستقرار للمناطق المحررة التقرير السنوي لعام ٢٠٢٠، بغداد، ص ٢٧.